



بسم الله الرحمن الرحيم

## المــقــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ومعلم الناس الخير والمبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله عليه أفضل صلاة وسلام. أما بعد:

من أعظم الدلائل التي على ربوبية الله هي تلكم الدلائل التي ملأ الله عز وجل بها كتابه المسطور، فما تكاد تخلو سورة من سور القرآن من آية تبين عظم هذه المخلوقات الدالة على خالقها وموجدها عز وجل ولذلك أمر الله في كتابه الكريم بالنظر والتفكر والتأمل في هذا الآيات العظيمة المشاهدة الدالة عليه، والتفكر في القرآن والسنة جاء بأساليب كثيرة فمرةً يجيء بصيغة الاستفهام، ومرة بصيغة الأمر ومرةً يأتي بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجديد، والمقصود أن الله دعا المشركين إلى التفكر في مخلوقاته، وما فيها من بديع الصنعة ليتوصلوا بعقولهم وفكرهم إلى استحقاقه عز وجل للعبادة وحده دون ما سواه.

ومن الأمور التي سأتناولها في هذا البحث هو (دلالات التفكر الكونية في القرآن على ربوبية الله) وكيف أن التفكر في الآيات الكونية يوصل إلى ربوبية الله عز وجل.

كتبه

**ياسر بن عبده بن إبراهيم حليس**

**المملكة العربية السعودية-تبوك**

[Yaaseer01@hotmail.com](mailto:Yaaseer01@hotmail.com)

## المطلب الأول: تعريف التفكُّر:

### التفكُّر في اللغة:

واضح من كلمة (التفكر) أن الألف واللام والتاء زائدة على أصلها، فأصل الكلمة فكر وأصل مادة الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، ويقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فكير: كثير الفكر([[1]](#footnote-2)).

والفكر بكسر الفاء، إعمال النظر في الشيء، وجمعها أفكار، ويقال فكر فيه وأَفكر وفكَّر وتفكَّر ويقال فكير وفيكر أي كثير التفكر([[2]](#footnote-3)) وقال الفارابي: التفكَّر التأمل، وقيل الاسم الفَكْر والفِكرُ([[3]](#footnote-4)) وهو إعمال الخاطر في الشيء والتفكر اسم التفكير ([[4]](#footnote-5)) ويأتي في القرآن بالصيغة الدالة على التكلف - وهو وزن تفعَّل الدال على التكلف- وبصيغة المضارع للإشارة إلى تفكير شديد ومكرر([[5]](#footnote-6)) ومن المعلوم أن زيادة المبنى زيادة في المعنى كما قرر ذلك أهل العلم، ولعل السبب في ذلك هو المبالغة في إعمال العقل بالتفكر للوصول إلى النتيجة المقصود التفكر فيها.

### التفكر في الشرع:

جاء في تعريف التفكر تعاريف كثيرة؛ وهي لا تنفك عن المعنى اللغوي فقيل: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وقيل: سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء، وهذه التعاريف هي تعاريف اصطلاحية متقاربة.

وعرفه ابن القيم بقوله: (تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له)([[6]](#footnote-7)) وهذا أيضاً قريب من التعريف اللغوي والاصطلاحي المتقدم وأكثر شرَّاح الحديث([[7]](#footnote-8)) عرَّفوا التفكر بالتعريف الاصطلاحي وهي تعاريف صحيحة لكنها مجردة عن الحقيقة الشرعية وهي كونه عبادة؛ ولعل العلة في ذلك أن التفكر إذا أطلق يقصد به ذات العبادة نفسها.

ولا بد من التفريق بين التفكر المقصود الذي هو انتقال النفس في المعاني انتقالا بالقصد وبين التفكر العابر عن غير قصد؛ لأن التفكر من غير قصد قد يكون من حديث النفس كالخواطر التي تهجم على الإنسان من غير قصد لها أو ما يسمى بالحدس([[8]](#footnote-9)).

أما إذا أردنا أن نعرف التفكر بكونه عبادة مأمورون بها شرعاً- سواءً كان طلب إيجاب أو استحباب- فأفضل التعاريف التي وقفت عليها ما ذكره الشرباصي بقوله: التفكر بالمعنى الأخلاقي الإسلامي القرآني: عبادة قلبية حقيقته: أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة؛ لتقوية جوانب الخير والصلاح، ومقاومة دواعي الشر والفساد ([[9]](#footnote-10))وحقيقة هذا النظر والتفكر أنه عبادة قلبية تتجاوز البصر إلى البصيرة، فتثمر صلاح العبد وخشيته ومحبته وتعظيمه لخالقه ومولاه، ومتعلق هذا التفكر هو الآيات الكونية المشاهدة والآيات القرآنية المتلوة.

والتفكر جاء في القرآن بألفاظ مرادفة له أو قريبة منه تفيد معناه كالنظر والتعقل والتدبر والتفقه وأيضاً ما جاء في معرض الثناء على أصحاب العقول والألباب.

## توحيد الربوبية

### توحيد الربوبية في اللغة:

مأخوذ من الرب: وهو المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، والخالق، والصاحب، والراء والباء أصل يدل على إصلاح الشيء والقيام عليه، ورب كل شيء مالكه، وهو اسمٌ من أسماء الله عز وجل ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا ([[10]](#footnote-11)).

### توحيد الربوبية في الشرع:

هو إفراد الله عز وجل بأفعاله([[11]](#footnote-12)) وهذا أخصر التعريفات، وأفعال الله كثيرة منها الخلق والرزق التدبير والإماتة والإحياء والملك وغير ذلك من أفعاله الدالةُ على ربوبية الله عز وجل.

قال ابن تيمية - رحمه الله-: ( فأما توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء)([[12]](#footnote-13)) فقد عرفه بأخص صفات الربوبية وهي صفة الخلق؛ لأنها من أظهر الصفات وأوضحها، وكثير ما يستدل الله عز وجل بمخلوقاته في القرآن على ربوبيته.

ومن العلماء من توسع في تعريفة بذكر أمثلة على أفعال الله، ونفي أن يكون لله في ربوبيته شريك.

يقول الشيخ سليمان- صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد- عن توحيد الربوبية بأنه:

(الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك )([[13]](#footnote-14)) وقريباً من هذا التعريف ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي([[14]](#footnote-15))، والشيخ حافظ الحكمي([[15]](#footnote-16))-رحمهما الله-.

ومن أسماء توحيد الربوبية: توحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد القولي العلمي، وتوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وكلها صحيحة، ويشمل الربوبية والأسماء والصفات([[16]](#footnote-17)).

يتبين من هذا التعريف أن متعلق توحيد الربوبية هو أفعال الله عز وجل فكل ما كان من أفعاله سبحانه وتعالى فهو داخلٌ في ربوبيته، ويدخل فيه القضاء والقدر فهو من فعله.

والأدلة على توحيد الربوبية كثيرة جداً، فكل ما كان من فعله سبحانه وتعالى فهو من الأدلة على ربوبيته، ولكن يهمنا في هذه الرسالة الأدلة التي لها علاقة بالتفكر سواءً المنطوق منها أو المفهوم، وقبل أن أذكر بعض الأدلة على ربوبية الله عز وجل سأتكلم عن بعض المسائل المهمة المتعلقة بالتوحيد.

والأدلة على توحيد الربوبيةكثيرة منها: قوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** [الفاتحة: 2]

وقوله تعالى: **{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ}** [ص: 66]

والقرآن مليء بأدلة الربوبية، ولكن هذه إشارة تفي بالمقصود، وسيأتي مزيد منها قريباً.

### حكم توحيد الربوبية:

تقدم معنا أن الإقرار بربوبية الله أمرٌ فطري ضروري، فطر الله عز وجل الخلق عليه، ولكنه لا يدخل العبد في الإيمان، إلا إذا أتى بتوحيد العبادة.

وتوحيد الربوبية واجبٌ بلا شك، لكنه ليس كل الواجب، ولا يتم به الواجب- توحيد الألوهية- وليس هو الذي أرسلت من أجله الرسل وأنزلت الكتب، لأنه أمرٌ قد فطر الله عليه الناس، وركب فيهم العقول، ليستدلوا بهذا التوحيد على ألوهية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة، فمن خلق وسوى، وقدر فهدى، هو المستحق للعبادة، لا المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

فوجود هذا التوحيد-الربوبية- كعدمه([[17]](#footnote-18))، إن لم تُخلص العبادة لله وحده لا شريك له، وقد أخطأ في هذا التوحيد أقوام([[18]](#footnote-19))، حين جعلوه هو الغاية من الخلق، فأفنوا أعمارهم في إثبات ما هو ثابت وضروري في الفطر، وأهملوا ما من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

يقول ابن تيمية - رحمه الله- في وجوب توحيد الربوبية:

(فلا ريب أنه من التوحيد الواجب، وهو الإقرار بأن خالق العالم واحد، لكنه هو بعض الواجب وليس هو الواجب الذي به يخرج الإنسان من الإشراك إلى التوحيد، بل المشركون الذي سماهم الله ورسوله مشركين، وأخبر الرسل أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرين بأن الله خالق كل شيء)([[19]](#footnote-20))

وقد أخبر الله عز وجل في آيات كثيرة بأن المشركين مقرون بهذا التوحيد، ولكن لم ينفعهم هذا الإقرار، قال تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}** [الزخرف: 9] وكقوله: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}** [يونس: 31] فسيجيبون بأن من يفعل هذا كله هو الله، أفلا تتقون يعني: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم، وادعائكم رباً غير من هذه الصفة صفته، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً، ولا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا يفعل فعلاً ؟ ([[20]](#footnote-21)) فهم مقرون بالربوبية بأن الله هو الرزاق والمالك وأنه مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، وأنه المدبر، لكن ومع إقرارهم بهذا التوحيد فقد سماهم ربنا جل جلاله مشركين كما في قوله تعالى: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}** [يوسف: 106] قال ابن عباس رضي الله عنه:(من إيمانهم، إذا قيل لهم: من خلق السموات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: "الله"، وهم مشركون به )([[21]](#footnote-22)) بل ومع إخلاصهم الدين لله عز وجل في الضراء كذلك، لم يدخلهم في الإسلام كما قال تعالى: **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** [العنكبوت: 65].

قال قتادة -رحمه الله- في قوله: **{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }** [العنكبوت: 65] فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك([[22]](#footnote-23)).

المقصود أن هذا الإقرار والإخلاص في حال دون حال لم ينفعهم، ولم يدخلهم في دائرة الإسلام بمجرد إقرارهم؛ لإخلالهم بتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الألوهية هو الغاية من خلق الخليقة، وأما توحيد الربوبية فهو مستقر في فطرة الإنسان، ليعين العبد على اتباع الحق والاستجابة لنداء الفطرة من جعل العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له.

*قال ابن القيم - رحمه الله -*:

( فما كان له سبحانه فهو متعلق بألوهيته، وما كان به فهو متعلق بربوبيته، وما تعلق بألوهيته أشرف مما تعلق بربوبيته، ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده، فإن عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له، لم ينفعهم توحيد ربوبيته )([[23]](#footnote-24))

فالذي عليه الكتاب والسنة وسلفنا الصالح، أن العبد لا يكون مسلماً ما لم يأتي بلازم توحيد الربوبية، وهو توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ.....}** [النحل: 36] وسيأتي قريباً بيان العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية.

### أدلة التفكر على توحيد الربوبية:

لا شك أن للربوبية أدلة كثيرة منها الضروري كالفطرة، ومنها النقلي كالآيات القرآنية، ومنها النقلي العقلي كالآيات الآفاقية وغيرها، وهي غالباً ما تأتي -أدلة الربوبية- لتقرير توحيد الألوهية وهما متلازمان كما تقدم؛ لأن توحيد الربوبية يلزم منه إخلاص العبادة لله عز وجل، وتوحيد الألوهية متضمنٌ لتوحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله لا بد أن يقر بأفعاله من خلق ورزق وتدبير، وكذلك الأسماء والصفات.

وألفاظ القرآن هي خير وأولى ما يعبر بها عن الأدلة وعن قضايا الإيمان، وسأقسم أدلة التفكر على موجبها، ومعلوم أن كثيراً من الأدلة تدل على أكثر من مقصود، وسبب هذا هو شمولية نصوص الكتاب والسنة، فمثلاً الآية القرآنية قد تأتي بالدلالة على الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، واليوم الآخر، لذلك لن أشير إلا ما أنا بصدد التكلم عنه، أما غيرها من المقاصد تأتي في حينها، وأما تقسيم هذه الأدلة اجتهادي فمنهم من يحصرها بدلالة الآفاق والأنفس ومعجزات الأنبياء كابن الوزير([[24]](#footnote-25))، ومنهم من نظر إلى نوع الفعل فقسم الأدلة بناءً على ذلك، كدلالة الخلق والتدبير والاتقان والنعم، وكل هذه التقسيمات صحيحة جاء الدليل عليها فكلها مفعولات الله سبحانه وتعالى فأقول مستعيناً بالله:

### الأول: دلالة الفطرة على الربوبية وعلاقتها بالتفكر.

تقدم معنا الكلام عن الفطرة، فتقرر بأن الإقرار بالخالق ووحدانيته علم ضروري بموجب الفطرة السليمة، والإقرار به سبحانه راسخ في النفوس كغيره من الموجودات بل أرسخ!! كما في قوله: **{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }** [إبراهيم: 10]

ولذلك إذا سلمت الفطرة سهل التصديق بالأنبياء، وسلم التفكير من الاعتقادات الفاسدة، وعليه...فإن للفطرة السليمة دور هام مع كثير من الموحدين قبل الإسلام([[25]](#footnote-26))، وإن كان عددهم قليل قبل الرسالة المحمدية -على صاحبها الصلاة والسلام- لفشو عبادة الأوثان، ونشأة الناس على عبادتها، ومثلهم بعض الأعراب في الصحراء الذين لم يختلطوا بالأمم الأخرى، ولم يتأثروا بعادات المشركين، فكان استدلالهم على ربوبية الله موافقاً لما قرره القرآن من أن هذا الكون سماءه وأرضه لا بد له من خالق، كما قال تعالى:**{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ}** [الطور: 35، 36]

لذلك الآيات التي تخاطب المشركين وتدعوا إلى التفكر، إنما تخاطب فطرهم، لكن يصدهم عن اتباع الحق تلك الصوارف من التقليد للآباء، أو الاتباع للأهواء، وغيرها من الصوارف، فالتفكر في الآيات الكونية مؤثرٌ في الفطرة؛ وبذلك استدل البدوي في الصحراء -بفطرته- على ربوبية الله بالتفكر في آثار صنعه فقال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير)([[26]](#footnote-27)) فهذا الأعرابي بتأمله في هذه المخلوقات علم أنها لم توجد من غير موجد، وهذا لسان حال كل من نشأ على الفطرة من دون مؤثرات، كحال أولئك الموحدين في الجاهلية، ومن أشهرهم زيد بن عمرو بن نفيل([[27]](#footnote-28))، وقس بن ساعدة الإيادي([[28]](#footnote-29))، وأمية بن أبي الصلت([[29]](#footnote-30))، وغيرهم من الموحدين الأحناف في الجاهلية الذين رفضوا عبادة الأصنام، وكانوا على بقايا من ملة إبراهيم، وكان من جملة ما كانوا عليه من اتباع ملة إبراهيم، التفكر في المخلوقات، وهذا بدا واضحاً في أشعارهم وأقوالهم.

يقول زيد بن عمرو:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأسلمت وجهي لمن أسلمت |  | له الأرض تحمل صخرا ثقالا |
| دحاها([[30]](#footnote-31)) فلما رآها استوت |  | على الماء أرسى عليها الجبالا |
| وأسلمت وجهي لمن أسلمت |  | له المزن تحمل عذبا زلالا |
| إذا هي سيقت إلى بلدة |  | أطاعت فصبت عليها سجالا([[31]](#footnote-32))([[32]](#footnote-33)) |

فقوله: أسلمت وجهي يبين انقياده واعترافه لمن أبدع هذه المبدعات، وصنع هذه المصنوعات التي لا يعي ما ورائها إلا من سلمت فطرته، وتفكر فيها، وتأمل ما دلت عليه من دلالات؛ لأن هؤلاء الموحدين كانوا أهل تفكرٍ وتأمل، ومما يدل على تأثر فطرته بما يتفكر فيه من الآيات والدلالات، أنه كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: يا معشر قريش: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاما له)([[33]](#footnote-34)) فاستدل بفطرته وبتفكره في خلق الله للشاة، وإنزال المطر من السماء، وإنبات الأرض، على استحقاق الله جل جلاله بأن تذبح هذه الذبائح على اسمه سبحانه وتعالى.

ومن خبر قس بن ساعدة أيضاً تلك المقالة المشهورة، والخطبة المعروفة التي قالها في سوق عكاظ، وقد ملئت توحيدا، وتأملاً، وتفكراً، في ربوبية الله التي هي لازم فطرته، ومما جاء في ضمنها قوله: (يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج([[34]](#footnote-35))، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر([[35]](#footnote-36))، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبرا...أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه، إن لله دينا هو أرضى من دينكم)([[36]](#footnote-37))

والمقصود من إيراد كلام قس هذا هو عمق تفكره في آيات الله عز وجل الموافق لما في فطرته من الإقرار بالخالق، وأن لله دين ارتضاه غير ما اتخذه العرب من أصنام، فزيد وقس كانا على الفطرة كما تقدم من كلامهما، وما روي من أخبارهما، أنهما كانا موحدين، فهما مظنة الاستجابة لدعوة الرسول لو بعث في وقتهما، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن زيد بن عمرو بن نفيل قال (( يبعث أمة وحده يوم القيامة ))([[37]](#footnote-38))

وأما أمية بن أبي الصلت فمات على الكفر بعد أن كان على الفطرة مع هؤلاء الموحدين الحنفاء الذين رغبوا عن الخمر والأصنام، وأشعاره شاهدةٌ على سعةِ معرفته وتعظيمه لله، وآياته حتى ذكر في أشعاره العرش وحملته والملائكة وغيرها من الأمور التي لا مجال لذكرها هنا.

ولما كان أمية يعلم من أن نبي سيبعث في وقته من العرب؛ لأنه كان قد قرأ الكتب المنزلة، وسافر واختلط بالأحبار والرهبان فعلم ذلك، (طمع بأن يكون هو النبي المرتقب، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمن، وكفر به، حسداً!)([[38]](#footnote-39))، وقيل نزلت فيه قوله تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}** [الأعراف: 175] ([[39]](#footnote-40))

ولعل المقصود أنه يشبهه في انسلاخه من آيات الله، حكى ذلك ابن كثير (فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه أدرك زمان رسول صلى الله عليه وسلم وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته)([[40]](#footnote-41))

والمقصود من هذا أن أمية بن أبي الصلت لم تنفعه فطرته ولا تفكره في آيات الله الكونية التي ملئت بها أشعاره، ولا معرفته بربه؛ لأنه قد منعه الكبر والحسد واتباع الهوى عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل **{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [القصص: 50]

وكان من هؤلاء الموحدين قبل الإسلام وهو من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن لؤي بن غالب([[41]](#footnote-42)) فقد ذُكر عنه، أنهم كانوا يجتمعون عليه كل جمعة، فكان يأمرهم فيه بالطاعة، والفهم والتعلم، والتفكر في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتقلب الأحوال والاعتبار بما جرى من أحوال الأولين والأخرين وغيرها من الأعمال الصالحة، مما يدل أنه كان على دين إبراهيم متمسكاُ بالحنيفية([[42]](#footnote-43)) وهذا يدل أنهم كانوا أهل تفكر وتأمُل في المخلوقات.

فالفطرة من الأدلة على ربوبية الله؛ لأنها علمٌ ضروري في قلوب بني آدم، بل حتى الحيوان والجماد فالله عز وجل حكى في كتابه أن كل مخلوقاته تسبح له **{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** [الحديد: 1] وجاء فعل التسبيح أيضاً بصيغة المضارع ليدل على استمراره وتجدده، وأخبر أيضاً عن سجود المخلوقات له، وذكر الشمس والقمر والنجوم والجبال الشجر والدواب، وهو دليل على فطرية معرفة الله عز وجل عند كل الكائنات حتى الحجارة منها ما يهبط من خشية الله **{وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }** [البقرة: 74] وهذا يدل أنها تعرف ربها معرفةً تليق بها([[43]](#footnote-44))، بل حتى الهدهد من العالم البهيمي استدل على بطلان الشرك، وأحقية الله عز وجل بالعبادة بالدليل المشاهد في الآفاق **{ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }** [النمل: 25] فاستدل بأمرٍ مشاهد محسوس وهو المطر والنبات مع تكرر حدوثهما، وعجيب صنع الله لهما([[44]](#footnote-45)) وهذه الآيات التي خلقها الله عز وجل جعلها أدلةً على ربوبيته يتفكر فيها من داخلَ قلبه الشك والهوى، فيستدل بها على ربوبيته عز وجل ؛ لأنه لو عُظمت ربوبية الله حق التعظيم عظمت ألوهيته، ولم تصرف لغيره.

### الثاني: دلالة التفكر في المخلوقات على ربوبية الله عز وجل

جميع ما تراه أعيننا في هذا الكون فهو من أفعال الله الدالة على توحيد الربوبية، فمتعلق الربوبية أفعال الله سبحانه وتعالى من خلق وتدبير وملك وغير ذلك من الأفعال التي تدل على ربوبيته، لذلك فإن أدلة الربوبية أكثر وأعظم من أن تحصر، ولقد جاء الحث في القرآن إلى النظر والتفكر فيها للاستدلال بها، لا لمجرد النظر الذي تشاركنا فيه البهائم.

**أولاً**: دليل الخلق والنشأة (الاختراع والحدوث)([[45]](#footnote-46)) وما فيها من اتقان وعناية، وهو دليلٌ نقلي عقلي، فجميع ما في هذا الكون يدل على الخالق عز وجل؛ لأنه من صنعه وخلقه قال تعالى: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}** [الزمر: 62] والخلق من أخص أفعاله الدالة على ربوبيته، ومن تأمل آيات القرآن وجد الكثير الكثير من الآيات التي أخبر الله أنه أوجدها وخلقها، وأنها من آياته الدالة عليه؛ لأنها لا بد لها من موجد، ولاعتياد النظر إلى هذا الآيات أصبح كثير من الناس لا ينتبه لدلالتها العظيمة على خالقها وموجدها، ودلالة الخلق قائمة على أمور دل عليه النقل والعقل والحس وهما:

الأول: وجود هذه المخلوقات من سماء وأرض وإنسان وجماد ونبات وحيوان وغيرها من الموجودات، وهذا مشاهدٌ محسوس.

الثاني: أنه لا بد لهذه المخلوقات من خالق ولهذه الموجودات من موجد، فهي لا تستطيع أن توجد نفسها، فضلاً عن وجودها بهذه الصورة المتقنة([[46]](#footnote-47))(فالآيات تدل على نفس الخالق سبحانه... فإن كل ما سواه مفتقر إليه نفسه فيلزم من وجوده وجود عين الخالق نفسه)([[47]](#footnote-48))

الثالث: ما في هذه المخلوقات من اتقان، واختلاف، وتنويع، وهداية، مما يدل على إرادة خالقها وتدبيره.

ومميزات دلالة الخلق أنها طريقة قرآنية نبوية أجمع عليها السلف، وأنها طريقة شرعية عقلية، دل الدليل عليها، ومشاهدة بالحس، يقول ابن تيمية: (هذه الطريقة جزء من الطريقة المذكورة في القرآن وهي التي جاءت بها الرسل، وكان عليها سلف الأمة وأئمتها، وجماهير العقلاء من الآدميين)([[48]](#footnote-49))

لذلك جاء الحث في القرآن على تدبر هذه الآيات والتفكر فيها، والاستدلال بها على مسائل عظام في العقيدة، ومن تأمل الآيات القرآنية وجد حقيقة هذا التقرير.

وأدلة الخلق على نوعين هما (دلالة الآفاق ودلالة الأنفس)([[49]](#footnote-50)) وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }** [فصلت: 53]

النوع الأول: دلالة التفكر في الآفاق (الآيات الكونية) على ربوبية الله.

والآفاق جمع أفق، وتعني: النواحي([[50]](#footnote-51))، والمقصود آيات الله السماوية والأرضية كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والبحار والأنهار وغيرها من مخلوقات الله في السماء والأرض([[51]](#footnote-52)) كما قال تعالى: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }** [فصلت: 53]

ومن أدلة التفكر في الآفاق على ربوبية الله عز وجل قوله **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** [آل عمران: 190، 191] ففي هذه الآية دلالة على ربوبية الله عز وجل في خلق السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، ففي خلقه للسماوات والأرض دلالة على ربوبيته سبحانه وتعالى (وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم)([[52]](#footnote-53)) فذكر سبحانه وتعالى أن في هذه الآيات دلالة لأصحاب العقول الصحيحة الراجحة الذين يتفكرون في عظيم خلق السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار (لأن مجرد التفكر فيما قصه الله في هذه الآية يكفي العاقل، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه، ولا تدفعه التشكيكات)([[53]](#footnote-54))

فأصحاب العقول لم يوصله تفكرهم فقط إلى ربوبية الله، وأنه خالق السماوات والأرض، ومصرف الليل والنهار، بل إلى ما هو أبعد من ذلك، من أن هذا الخلق لم يوجد عبثاً بل وراءه أمرٌ ونهي وحساب وعقاب.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}** [الأعراف: 185]

من الأساليب القرآنية في الدعوة إلى التفكر أسلوب الاستفهام وهو في هذه الآية للإنكار والتقريع والتوبيخ؛ لإعراضهم عن النظر والتفكر في خلق الله العظيم وملكه الذي حوى السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ولا فيما خلق الله من شيء من الأشياء، فإن في كل مخلوقاته عبرة للمعتبرين، وموعظة للمتفكرين، سواء كانت من جلائل مصنوعاته كملكوت السموات والأرض، أو من دقائقها من سائر مخلوقاته([[54]](#footnote-55)) يقول ابن عطية: (وما خلق الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه، ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع، ومن نفس الإنس وحواسه ومواضع رزقه، و"الشيء" واقع على الموجودات)([[55]](#footnote-56)) فيستدل بالنظر والتفكر في المخلوقات على ربوبية الله جل جلاله لأنه هذه الموجودات مهما عظمت ودقت فهي دليلٌ على موجدها وخالقها، والموجودات تشمل العالمان العلوي والسفلي.

وعلى عكس هؤلاء الذين لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض المؤمنون الذين انتفعوا بهذه الآيات العظيمة في السماوات والأرض قال تعالى: **{خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ }** [العنكبوت: 44] لأن المؤمنين هم الذين يصدقون بالآيات إذا رأوها والحجج إذا عاينوها، وهذا الخلق المتقن الذي لا تقصير فيه عما أريد منه، هو آية على وحدانية الخالق وعلى صفات ذاته وأفعاله؛ لمن تأمل وتفكر وهو حال المؤمنين([[56]](#footnote-57)).

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الرعد: 2، 3].

ففي هاتين الآيتين دلالة على ربوبية الله ووحدانيته، بما ذكره من براهين على ربوبيته من خلق السماوات ورفعها بغير عمد نراها، ثم استواؤه على العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات، والأرض وتسخيره للشمس والقمر والانتفاع بهما، فهو دليل على خلقه وتدبيره

وأيضاً الآيات الأرضية من خلق الجبال وجعلها رواسي، وإخراج الثمرات وغيرها من الآيات فهي دلائل لمن تفكر فيها وانتفع بها، فهي آيات ودلائل للمتفكرين.

يقول السعدي-رحمه الله- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: (ينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها، هو الله الذي لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء المحمود على ما خلقه وأمر به تبارك وتعالى)([[57]](#footnote-58)) ومثل هذه الآيات قوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [الأعراف: 54] ففيها إخبار عن خلق الله للسماوات والأرض وتصريف لليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، ففي التفكر في هذه الأفعال استدلال على أنه الخالق المدبر والمصرف.

ومن الأدلة أيضاً التفاضل والاختلاف بين المخلوقات سواءً من جنس واحد أو من جنس مختلف كما قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}** [فاطر: 27، 28]

وقوله تعالى: **{ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [الرعد: 4]

وجميع ما في هذه الآيات من آيات هي أفعال الله عز وجل ومخلوقاته وتدل على الربوبية من وجهين:

الأول: بأنها دالةٌ على خالقها ولا شك، فهي علامات وحجج بينات ظاهرات لمن تفكر فيها، وتأملها بعين رأسه وقلبه، فالمخلوق لا بد له من خالق.

الثاني: الاختلاف في هذه المخلوقات، وذلك؛ أن الله عز وجل صدر الآية الأولى بالحث إلى رؤية الماء النازل من السماء كيف يخرج به نباتاً مختلفاً ألوانه، ومثله أيضاً اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب، والمقصود هو اختلاف ألوان الأصناف من النوع الواحد في النبات والجبال والأنعام والدواب، بل وأعجب من ذلك هو اختلاف طعم الثمار العنب والزرع والنخيل وغيرها من النباتات، وهي تسقى بماءً واحد فمنه الحلو ومنه الحامض ومنه شديد المرارة فاختلاف الطعوم والألوان والأشكال مع أن المصدر واحد والماء واحد؛ لهو من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾([[58]](#footnote-59))

أخبر الله في هاتين الآيتين عن جملة من دلائل ربوبيته وعجيب صنعه، وكمال خلقه، وجميل لطفه، وعن تدبيره لأمر السحاب، ومراحله التي تسبق نزول المطر، وما فيه من الصواعق الشديدة التي مسموع رعدها ومشاهد برقها حتى إنه ليكاد أن يذهب بالأبصار من شدة بريقه، ثم تكلم عن عجيب تصريفه وتدبيره الليل والنهار، الذي هو ملاحظ ومشاهد لكل أحد، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ألم ترى أي: ألم تشاهد ببصرك عظيم قدرة الله في تكوين هذه الآيات وتصريفها، فالبصير ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم([[59]](#footnote-60))، فالتفكر في هذه الآيات طريق موصلة لمعرفة ربوبية الله عز وجل لأنها من دقائق صنعه وتدبيره.

النوع الثاني: دلالة التفكر في الأنفس على ربوبية الله عز وجل.

الأنفس جمع نَفْس وتطلق النفس على الروح فيقال: خرجت نفسه أي: روحه وقيل: هما شيء واحد، وتطلق أيضاً على الدم وسمي نفساً لأن بخروجه تخرج النفس، وتطلق أيضاً على ذات الشيء وعينه جاء فلان نفسه أي عينه، يقول النووي: النفس تطلق على أشياء منها نفس الحيوان وذات الشيء والدم والآدمي([[60]](#footnote-61))، وتطلق أيضاً على الإنسان جميعه روحه وجسده، كقوله تعالى: **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ }** [الزمر: 56] ([[61]](#footnote-62)) [الزُّمَر:56] وكقوله: ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[المائدة:32] أي: من قتل إنسان، والمقصود بالأنفس هنا الإنسان روحاً وجسداً من مبتداه إلى منتهاه، بل كل ما له نفس، وليس المقصود بالنفس هنا الروح فقط؛ لأن الروح مما لا يعلم إلا عن طريق الخبر ولا عبرة بالتفكر فيها من غير دليل، ولكن جسد الإنسان محسوس ويمكن رؤيته، والتفكر فيه، والاستدلال به من غير دليل ممكن، أما الروح فالتفكر فيها لا يكون إلا بما ثبت من النصوص فقط؛ لأنها من الغيب.

ولذلك جاء الحث بالتفكر في النفس وقبضها وإرسالها وما يفعل بها عند الموت وبعده، وجاء الحث أيضاً بالتفكر في الجسد، وأطوار خلق الإنسان من كونه نطفة إلى دخوله الجنة أو النار.

جاء في النصوص أدلة كثيرة على دلالة الأنفس، وبأساليب متنوعة منها أسلوب الأمر، والاستفهام، ومرةً بالحث إلى النظر في النفس إجمالاً ومرةً تفصيلاً، وما هذا إلا لأن الإنسان في نفسه دليلٌ أقرب من أي دليل (فالإنسان هو الدليل وهو المستدل)([[62]](#footnote-63)) لذا أمرنا بأن ننظر ونتفكر في أنفسنا أقرب الأشياء إلينا، لما فيها من الآيات والعبر، فأينا يعلم عن حاله شيئاً قبل أن يوجد، وأينا يعلم عن حاله شيئاً بعد أن يدفن، وأينا يعلم عن حاله شيئاً بعد أن يبعث، لذلك جاء القرآن يخبرنا عن حالنا قبل الحياة، وبعد الحياة، وأثناء الحياة، فخلق الإنسان ينتقل من طور إلى طورٍ إلى أن يلقى ربه عز وجل.

والمقصود أن الاستدلال بخلق الإنسان وعجائبه من أعظم دلائل الربوبية، لكن لمن نظر وتفكر وتعقل ما نظر إليه؛ لأن النظر وحده لا يكفي فكل الناس ينظرون حتى البهائم تنظر، لكن لا يستفيد إلا من تفكر وتدبر واعتبر واستدل بذلك **{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ}** [يس: 78]

ومن أدلة التفكر في خلق الإنسان الدالة على ربوبية الله عز وجل:-

قوله تعالى: **{ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}** [الذاريات: 21] هذه الآية من الأدلة على ربوبية الله، وهي دعوةٌ مجملة للتفكر في هذه النفس جسداً وروحاً حالاً ومآلاً، فمن أوجد الإنسان من العدم بهذه الخلقة، وبهذه الدقة!! لا شك بأنه من أعظم الدلائل والبينات على الخالق، الحكيم المدبر، القدير.

يقول ابن جرير-رحمه الله- بعد أن ذكر بعض أقوال العلماء، وقد فسروها ببعض ما تدل عليه الآية: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم﴿ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم)([[63]](#footnote-64)) ويقول السمعاني: (والأولى أن يقال: هو سائر الآيات التي في النفس مما يدل على أن لها خالقا وصانعا)([[64]](#footnote-65))

فلا وجه لتخصيص اللفظ بجزء من الإنسان وهو أعم من ذلك([[65]](#footnote-66))، وبعد تقليب النظر في بعض كتب التفسير، وجدت أن أكثر المفسرين فسروا الآية بعموم التفصيل الذي جاء في آيات أخرى كثيرة؛ لأن المقصود النظر والتفكر والاستدلال.

يقول ابن عاشور: (والمعنى: ألا تتفكرون في خلق أنفسكم: كيف أنشأكم الله من ماء وكيف خلقكم أطوارا، أليس كل طور هو إيجاد خلق لم يكن موجودا قبل، فالموجود في الصبي لم يكن موجودا فيه حين كان جنينا...وما هي عند التأمل إلا مخلوقات مستجدة كانت معدومة...وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت يدل على تفرد مكوِّنه تعالى بالإلهية إذ لا يقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى...كخلق العقل وفهمه للمعاني...وخلق النطق والإلهام إلى اللغة، وخلق الحواس...وتسوية المفاصل...)([[66]](#footnote-67)) فاجتمع في الإنسان بديع الخلق مع عظيم العناية من الخالق عز وجل.

فالمقصود من النظر في ذات الإنسان وما حواه من عجائب، أنه من أعظم الدلائل على مسائل العقيدة الكبار ومنها الربوبية، لكن لا يكون هذا إلا لمن نظر بقلبه وتفكر، أما المعرض الغافل، فنظره كنظر البهائم، فالبهائم تنظر ولكن لا تعي إلا ما فطرها الله عز وجل عليه، أما بعض بني آدم حتى فطرته غيرت وبُدلت حتى أصبح لا يعرف ربه، وما يستحقه من العبادة، في حين أنه لو أمعن النظر إلى أقرب الأشياء إليه وهي نفسه، لوجد الدليل على توحيد الله الخالق الرازق.

- ومن الأدلة على الربوبية التي جاءت مفصلة لما أجمل في آية الذاريات من النظر في النفس، والتي على أساسها فسر المفسرين آية الذاريات قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }** [غافر: 67، 68] وأيضاً كقوله: **{ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}** [المؤمنون: 13 - 16] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

وهذه الآيات ذكرت مراحل الإنسان من كونه نطفة إلى موته، ثم ختم الله عز وجل بالدعوة إلى الاعتبار بهذه الحجة العظيمة وتعقلها بالتفكر فيها يقول الشوكاني-رحمه الله-: (لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الأطوار المختلفة)([[67]](#footnote-68)) وهذا لا يكون إلا عن نظر وتفكر وتدبر، فخلق الإنسان ومروره بهذه الأطوار من دلائل ربوبيته، وحججه على عباده التي بها يعرفون خالقهم المتفرد بالإحياء والإماتة لا إله إلا هو فالإنسان يرى نفسه شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً وهو لا ينقل نفسه من حال الضعف إلى القوة إلى الضعف، ولا اختار ذلك لنفسه، فيعلم أنه ليس هو الذي فعل ذلك وإنما هو الخالق الحكيم المدبر([[68]](#footnote-69)).

نقل ابن تيمية عن الخطابي -رحمهما الله- كلاماً نحو ما تقدم يبين فيه كيف يستدل بخلق الإنسان على الربوبية وأن هذا الخلق الذي بدأ من العدم ثم انتقل من طور إلى طور إلى أن يخرج إلى الدنيا، ثم يبدأ مرحلةً جديدة من الطفولة إلى الكهولة ثم إلى الشيخوخة، وهو لا يملك اختيار لنفسه في التقلب في هذه الأحوال والأطوار فهذا يدل على صانعه ومدبره وخالقه، وهذا الدليل يتضمن أن الحادث لا بد له من محدث([[69]](#footnote-70)).

* ومن دلائل الربوبية الاختلاف والتنوع بين المخلوقات كما تقدم مثله في الآفاق قال تعالى: **{ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}** [الروم: 22] فهذا الاختلاف في الأشكال والألوان واللغات والأصوات من أعظم الدلائل على الربوبية، وهو دليل على أن الذي فرق بينها خالق مدبر عليم.

يقول الشنقيطي-رحمه الله-:( واختلاف الألوان المذكورة من غرائب صنعه تعالى وعجائبه، ومن البراهين القاطعة على أنه هو المؤثر جل وعلا، وأن إسناد التأثير للطبيعة من أعظم الكفر والضلال)([[70]](#footnote-71)) وأيضاً كقوله تعالى وكقوله: **{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [النور: 45] أيضاً ذكر في هذه الآية تنويع خلقه بين دواب الأرض (فذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها، وحركاتها وسكناتها، من ماء واحد)([[71]](#footnote-72)) أي مادتها كلها من ماء، فالاختلاف بين المخلوقات من أعظم دلائل الربوبية، فمن نوع بين المخلوقات فهو خالق مالك متصرف يفعل ما يريد، ولكن لا تتأتى هذه الاستدلالات واليقينيات إلا لمن نظر وتفكر واعتبر بما يشاهده؛ لذلك ختم الله تلك الآيات ببيان أن المستفيد من هذه الآيات والدلائل الذين يعقلون ويعلمون معناها، وأن الذي قدر الاختلاف بين هذه المخلوقات، فإنه القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

عموماً أدلة التفكر في الأنفس والآفاق على الربوبية كثيرة، وحصرها وذكرها يطول، ونقل ابن الوزير-رحمه الله- أنها أكثر من خمسمائة آية في هذا الباب تدل على انفراد الخالق بالتدبير([[72]](#footnote-73)).

لكن ينبغي أن يعلم أن أدلة التفكر في الآفاق والأنفس ليست مقتصرة على الربوبية فقط بل تشمل جوانب العقيدة الأخرى، إما تضمناً أو لزوماً أو حتى مطابقةً فمثلاً دلالة الخلق تدل على الربوبية مطابقةً لأن الخالق هو الرب، وعلى الألوهية لزوماً؛ لأن الخالق هو المستحق للعبادة، وعلى البعث أيضاً لزوماً؛ لأن الذي خلق أول مرة قادرٌ على أن يعيده مرة أخرى، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، قد يأتي في الدليل القرآني الواحد ما يقرر أكثر من مسألة مثل قوله تعالى: **{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}** [الروم: 8] وكقوله: **{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}** [الطارق: 5 - 8]

ففي الآيات السابقة استدلال على الربوبية والألوهية والبعث عن طريق التفكر في الدلالات الواردة في الآيات، فالربوبية من دلالة الخلق والقدرة، والألوهية بأن الذي خلق هو المستحق للعبادة، والبعث بالتصريح بأن الذي خلق قادرٌ على الإعادة.

والمقصود أن الآية الواحدة، قد تدل على أكثر من مقصود. والله أعلم.

فيتبين مما سبق أن الاستدلال بالتفكر والنظر في الآفاق والأنفس على ربوبية الله عز وجل طريقة شرعية وموافقة لفطرة الإنسان، وأيضاً عقلية لدلالة العقل عليها يقول ابن تيمية: (الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن نفس كون الإنسان حادثاً، بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، سواء أخبر به الرسول، أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به، ودل به، وبينه، واحتج به، فهو دليل شرعي، لأن الشارع استدل به، وأمر أن يستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته، وكذلك غيره من الأدلة التي في القرآن؛ مثل الاستدلال بالسحاب والمطر؛ هو مذكور في القرآن في غير موضع، وهو عقلي شرعي)([[73]](#footnote-74)) ويدخل في كلام ابن تيمية هذا ملكوت السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات وعجائب فهي أيضاً طريقة شرعية عقلية.

### ثانياً: دلالة التفكر في النعم وما فيها من عناية وتسخير وتدبير على الربوبية:

إن التفكر في نعم الله عز وجل من الدلالات العظيمة على ربوبية الله عز وجل لذلك صدر الله عز وجل وعقب في كثير من الآيات بالنظر والتفكر والتذكير بنعمه وتسخيرها لعبادة؛ ليتعرفوا على المنعم، وهذه الأدلة لا تخالف أدلة الخلق على الربوبية، فجميع هذه النعم مخلوقة، لكن يلاحظ في هذه المخلوقات أنها سخرت للإنسان لما فيه منفعته والعناية به.

فنِعم الله على عباده من أدلة ربوبيته سبحانه وتعالى؛ لأنها لا تنفك عن الإنسان بحال من الأحوال، فهي ملازمة له إلى أن يموت سواءً كانت حسية أو معنوية، ظاهرة أو باطنه، ودائماً ما كان الرسل-عليهم الصلاة والسلام- يذكرون أقوامهم نعمة الله عليهم؛ قال هود عليه السلام لقومه: **{ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [الأعراف: 69] فبعد أمرهم بالتوحيد انتقل (إلى تذكيرهم بنعمة الله عليهم التي لا ينكرون أنها من نعم الله دون غيره؛ لأن الخلق والأمر لله لا لغيره، تذكيرا من شأنه إيصالهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة وأمرهم بالتذكر، لأن النفس تنسى النعم فتكفر المنعم، فإذا تذكرت النعمة رأت حقا عليها أن تشكر المنعم)([[74]](#footnote-75)) لذلك كثر ذكر النعم في القرآن، للاستدلال بها على المنعم جل جلاله والتذكير بنعمته ليتعظ الإنسان بذلك فيشكر نعمة الله عز وجل عليه، ولذلك بعد أن ذكر الله عز وجل جملة من النعم في سورتي النحل وإبراهيم قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل 18، إبراهيم 34]

* والأدلة على ربوبية الله عز وجل بالتفكر في النعم يمكن تقسيمها إلى قسمين: دعوة إلى النظر والتفكر في النعم بشكل عام، والأخرى مفصلة أو مخصصة في جنس واحد، يتبين ذلك من خلال ذكر الأدلة على ذلك:-

الأول: التفكر في النعم على وجه العموم؛ لأن الدليل لم يخص نعمةً دون غيرها، فتكون الدعوة إلى التفكر في جميع ما سخره الله لعباده من النعم ومنها قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}** [لقمان: 20] والرؤية في هذه الآية بصرية المقصود منها رؤية ما سخَّره الله لعباده من دلائله وآثاره من النعم، ويصح أن تكون هذه الرؤية في الآية علمية أيضاً، وكلاهما بمعنى التفكر -إلا أن البصرية مع زيادة نظر ومشاهدة- فكأنه قال: ألم تشاهدوا بأبصاركم وقلوبكم؟([[75]](#footnote-76)) وفي هذا الموضع عمَّ كل ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم وليل ونهار وحتى الملائكة، وكل ما في الأرض من مهاد وقرار وجبال وأحجار ونبات وأشجار وأنهار وحيوانات، فمن سخر هذه الموجودات للانتفاع بها؟ فهي لا شك دلالة ومن أعظم الدلائل على المنعم جل في علاه، والمراد بالنعم الظاهرة مايدرك بالعقل والحس، والباطنة ما لا يدرك للناس ويخفى عليهم([[76]](#footnote-77)).

ومن الأدلة أيضاً قوله: **{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الجاثية: 13] فجميع ما في السماوات والأرض نعمٌ مسخرةٌ للانتفاع بها، والله عز وجل هو المسخر لهذه النعم، والخالق المدبر لها، ولا يقدر على تسخيرها غيره، فهي حجج ودلالات على المنعم الذي لا إله غيره، فإذا تدبر وتفكر فيها المنعم عليهم اهتدوا إلى تفرد الله بالخلق والإنعام([[77]](#footnote-78)).

والنعم التي جاء ذكرها في القرآن مفصلة كثيرة جداً كتسخير الليل للسكن والسبات والنهار للرزق والمعاش، والشمس والقمر وذكر منافعهما، وكتسخير النجوم للاهتداء بها، وجعله الأرض مهاداً وفراشاً وقراراً، وكإنزال المطر وإنبات الزرع والثمار، وكتسخير السفن والبحار والأنهار وما فيهما، وكتسخير الدواب للركوب والأكل والشرب، هذا غير النعم التي أودعها الله عز وجل في بدن الإنسان كالأسماع والأبصار والأفئدة ليميز بها الإنسان بين الحق والباطل، والنافع والضار، فتتبع ذلك يطول، لكن المقصود هو علاقتها بربوبية الله صلى الله عليه وسلم ودلالتها عليه عن طريق التفكر.

ويكفينا -كمثال- من المواضع التي ذكر فيها جملة من النعم ما جاء في أول سورة النحلقال تعالى: **{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }** [النحل: 4 - 18]

ففي هذه الآيات يخبر الله عز وجل عن جملة مما امتن به على عباده من النعم، فدائما ًما يضيف هذه الأفعال إلى نفسه فيخبر أنه الذي خلق، وأنه الذي أنزل الماء، وأنه الذي سخر، وأنه الذي ألقى في الأرض رواسي، إلى غير ذلك من أفعاله العظيمة؛ لأن فيها تذكيرٌ ودلالة عظيمة على ربوبيته عز وجل، وبأنه هو الخالق المنعم المالك المدبر الحكيم العليم بما يصلح شوؤن عباده، وتقدم قول ابن تيمية: (والله تعالى في القرآن يذكر آياته الدالة على قدرته وربوبيته، ويذكر آياته التي فيها نعمه إلى عباده ويذكر آياته المبينة لحكمته، وهي متلازمة؛ لكن نعمة الانتفاع بالمآكل والمشارب والمساكن والملابس ظاهرة لكل أحد؛ فلهذا استدل بها في "سورة النحل"، وتسمى "سورة النعم" كما قاله قتادة وغيره)([[78]](#footnote-79)) لكن المستفيد من دلائل هذه الآيات والنعم ليس كل أحد، إنما المستفيد هو الذي يتفكر فيها ثم يتذكرها أي: يتعظ بها، ثم يعقل معناها، فإذا عقلها استدل بها على ربوبية الله عز وجل لأن هذه الأشياء موجوده فلا بد لها من موجد، وأيضاً تسخيرها للانتفاع دليل آخر على المدبر.

* ومما تقدم من الأدلة يتبين أن هذه الآيات دالة على الربوبية من وجهين:

-الأول: أن هذه النعم مخلوقة وكل مخلوق لا بد له من خالق، وأيضاً إذا استصحبنا ما في هذه الآيات من إتقان فهو دليل آخر ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:88]

-الثاني: إن هذه النعم دليل على المنعم بما فيها من تسخير وعناية، فتسخيره هذه النعم للإنسان وبهذه الطريقة المذللة، التي ليس فيها ما يعسر على الإنسان، لمن أعظم الدلائل على الربوبية.

وأيضاً ما فيها من عناية، فموافقة هذه الموجودات لوجود الإنسان بدليل موافقة الليل والنهار، والشمس والقمر، لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضاً وهو الأرض وموافقة كثير من الحيوان له، والنبات والجمادات، وجزيئات كثيرة: مثل الأمطار، والأنهار، والبحار وكالماء والهواء والأنهار([[79]](#footnote-80))، فهذه المنافع في المخلوقات والموافقة لحاجة الإنسان من دلائل ربوبيته سبحانه وتعالى وهذا واضح في الآيات.

ومن المهم تبيينه أن بعد ذكر هذه النعم وبعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله بالخلق ابتداءً من قوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ وبعد أن ثبتت المنة وحق الشكر، فرَّع على ذلك قوله: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ }** [النحل: 18، 19] كالنتيجتين للأدلة السابقة إنكارا على المشركين، من اتخاذهم الأصنام التي ليس لها من أمر الربوبية شيء، فالخالق هو اللهعز وجل فلا يصح تسوية الخالق والمنعم بمن لا يخلق ولا يملك نفعاً ولا ضراً([[80]](#footnote-81))، بل فيما تقدم من ذكر مخلوقات الله من أعظم الدلائل على وجوده وتفرده بالربوبية وبديع صنعته، فإنها لوضوحها يكفي في الاستدلال بها مجرد التذكر لها والتفكر فيها([[81]](#footnote-82)).

وأختم بكلام نفيس لابن القيم -رحمه الله- يبين فيه كيف يستدل بنعم الله وآياته وما فيها من اتقان على الربوبية يقول: (تأمل العبرة في موضع هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على أحسن نظام وأدله على كمال قدرة خالقه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال لطفه فإنك إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته ومصالحه، وكل ما يحتاج إليه فالسماء سقفه المرفوع عليه والأرض مهاد وبساط وفراش ومستقر للساكن والشمس والقمر سرجان يزهران فيه والنجوم مصابيح له وزينة وأدلة للمنتقل في طرق هذه الدار والجواهر والمعادن مخزونة فيه كالذخائر والحواصل المعدة المهيأة كل شيء منها، لشأنه الذي يصلح له وضروب النبات مهيأ لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة لمصالحه، فمنها الركوب ومنها الحلوب ومنها الغذاء ومنها اللباس والأمتعة والآلات ومنها الحرس الذي وكل بحرس الإنسان....وجعل الإنسان كالملك المخول في ذلك المحكم فيه المتصرف بفعله وأمره، ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على إن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم قدره أحسن تقدير ونظمه أحسن نظام)([[82]](#footnote-83))

### ثالثاً: الأدلة العقلية القرآنية الدالة على الربوبية.

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من الأدلة العقلية التي لا بد من إعمال العقل فيها لإدراكها والاستدلال بها، وهي تشمل الأمثال المضروبة والأدلة العقلية في القرآن، التي لا بد من إعمال العقل فيها فليست هي أخبار محضة، وقد أطلق عليها شيخ الإسلام ابن تيمية بالمقاييس العقلية، وكثيراً ما كان يستعملها -رحمه الله- في محاججة المتكلمين الذين يدعون بأن القرآن أدلة لفظية مجردة ليس للعقل فيه مجال، وهذا غير صحيح، بل القرآن مليء بالأدلة العقلية التي يستدل بها على مسائل العقيدة الكبار قال تعالى: **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}** [الكهف: 54] وكقوله: **{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }** [الزمر: 27] وضرب الأمثال بها في القرآن لسهولتها، وقوة حجتها، لذلك أمر الله عباده بأن يعقلوها فقال: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [العنكبوت: 43] ولا يعلم هذه الأمثال فيما ضربت له من الحق والباطل إلا العالمون بالله وآياته([[83]](#footnote-84)) يقول ابن القيم-رحمه الله- (والقرآن مملوء من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة على ربوبيته ووحدانيته، وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته)([[84]](#footnote-85)) ومنها أيضاً آيات الله في الأنفس والآفاق هي أيضاً آيات شرعية عقلية، ولكن المهم هنا الأدلة العقلية التي تسمى بالمقاييس العقلية وهي الأمثال المضروبة في القرآن التي لا تدرك إلا بالعقل والتفكر فيها، ولا تحتاج إلى مشاهدة كآيات الآفاق والأنفس، وأكثر الأدلة العقلية جاءت مسوقة لتقرير توحيد الألوهية؛ بالربوبية لأن الربوبية مما أقرت به فطر الناس، فكانت هذه الأدلة العقلية والأمثلة القرآنية أكثرها معظمها لتقرير الألوهية.

ومن الأدلة العقلية القرآنية على ربوبية الله عز وجل ما يلي:-

**أولاً**: قوله تعالى: **{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}** [المؤمنون: 91]

من الحجج البليغة في القرآن والمختصرة، والتي تدل على ربوبية الله بالحجة والبرهان، هذه الآية العظيمة والتي تناولت أخص صفات ربوبية الله عز وجل من الخلق والرزق والقدرة والعلو على خلقه، فيتبين من هذا أن المراد بالإله في الآية الرب([[85]](#footnote-86)) كما هو الواضح من سياق الآيات، والمقصود به الرد على من أشرك بالربوبية من اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب([[86]](#footnote-87))، إذ لو قدر تعدد الآلههة لانفرد كل إله بمخلوقاته، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض([[87]](#footnote-88))، ففي هذه الآية ثلاثة أمور:

الأول: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

الثاني: إما أن يعلو بعضهم على بعض.

الثالث: وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه فيكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون، فانتظام أمر العالم العلوي والسفلي، وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أعظم الأدلة على أن مدبره واحد لا إله غيره([[88]](#footnote-89)).

**ثانياً**: من الأدلة العقلية قوله تعالى: **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ }** [الطور: 35، 36]

وهذا من أعظم الأدلة العقلية على ربوبية الله، وهو دليل شرعي عقلي بديهي، معلوم في الفطر، ولازمه إخلاص العبادة لله وحده، لأن من خلق الخلق هو أحق بالعبادة، لذلك فإن هذه الحقيقة الضرورية والفطرية، وهذا الدليل استفهام إنكاري يتناول أمرين الأول: هل خلقوا من غير خالق؟ الثاني: أم هم الذين أوجدوا أنفسهم ومعلوم أن المعدوم لا يستطيع أن يوجد نفسه بل هو مفتقرٌ لمن يوجده، فكل مصنوع لا بدله من صانع

يقول ابن تيمية: إذ كان كل من القسمين: وهو كونهم خلقوا من غير خالق، وكونهم خلقوا أنفسهم معلوم الانتفاء بالضرورة، فإن الإنسان يعلم بالضرورة أنه لم يَحدُث من غير محدِث، وأنه لم يحدث نفسه، فلما كان العلم بأنه لا بد له من محدث، وأن محدثه ليس هو إياه علماً ضرورياً ثبت بالضرورة أن له محدثاً خالقاً غيره، وكل ما يقدر فيه أنه مخلوق فهو كذلك([[89]](#footnote-90)).

فيعلم بهذا أن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق، وأن هذه المحدثات لا بد لها من محدث، وأنه يمتنع أن توجد نفسها بنفسها، ولهذا فإن جبير بن مطعم رضي الله عنه كان من جملة المشركين الذين يقرون بربوبية الله عز وجل ومع ذلك لما سمع هذه الآيات حينما كان يقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب يقول: كاد قلبي أن يطير([[90]](#footnote-91))؛ وذلك لما فيها من حجة عقلية تخاطب الفطرة التي بدلت بسبب البيئة الوثنية السائدة في زمنه.

ينقل الحافظ ابن حجر-رحمه الله- عن الخطابي قوله: (كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه وذلك من قوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ قيل معناه: ليسوا أشد خلقا من خلق السماوات والأرض، لأنهما خلقتا من غير شيء أي: هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى: أم خلقوا من غير خالق وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم، بأن لهم خالقا ثم قال: أم خلقوا السماوات والأرض، أي: إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم؛ فليدعوا خلق السماوات والأرض وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة ثم قال: بل لا يوقنون فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان، وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله، ولا يحصل إلا بتوفيقه فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام)([[91]](#footnote-92)).

فيتبين من ذلك أن هذا الكون كله مخلوق وهذه النتيجة البديهية العقلية مستنبطة من هذا الدليل لمن نظر وتدبر هذه الأقيسة القرآنية التي فيها الهدى والبرهان، لا من أعرض عنها ونأى بجانبه، فهذا لا يزيده الإعراض إلا عمى وبعداً عن الحق.

**ثالثاً**: من الأدلة قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}** [فاطر: 41]

ففي هذه الآية حجة عظيمة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين من أن هذا العالم في الهواء أرضه وسماؤه وما فيهما من الجبال والبحار وجميع الأثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك بالهواء إلا ببمسك مدبر خالق عليم حكيم ([[92]](#footnote-93)).

ويقول السعدي: فمن تأمل في حفظ الله عز وجل للسماوات والأرض، وما فيهما من العوالم التي لا يعلمها إلا هو، وفي إمساكها وإبقائها وإمدادها بكل ما تحتاج إليه في بقائها من الأسباب المتنوعة، وهذا النظام الدقيق الذي لا يحيد، فهذا من أعظم الدلالات والآيات على كمال ربوبية الله ووحدانيته...فهذه الآية من أوضح الأدلة العقلية، ومثلها قوله تعالى **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ}** [الروم: 25] ([[93]](#footnote-94))

يقول فيه ابن عاشور: فقد جاءت هذه الآية بعد جملة من الآيات العظيمة الدالة على الربوبية، فبينت هذه الآية عظيم قدرة الله على حفظ نظام المخلوقات العظيمة بعد خلقها فخلق السماوات والأرض آية مستقلة تقدمت، وبقاء نظامهما على مر القرون آية أخرى، وموقع العبرة من هاته الآية هو أن تقوم السماء والأرض هذا القيام المتقن بأمر الله دون غيره([[94]](#footnote-95)).

فمن لطف الله عز وجل بخلقه أن سخر لهم السموات والأرض للقيام بشوؤنهم، ومن رحمته بهم أن أقامها لهم بأمره وفضله، فمن هذا فعله وقدرته فهو حقيق بأن يكون رب كل شيء **{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ}** [الأنعام: 164]

- ومن الحجج والآيات الدالة على الربوبية ما جاء به الأنبياء من المعجزات والآيات، فإنها من أعظم الدلائل على الربوبية لما فيه من خرق للعادات المشاهدة بالحس.

ويرى ابن القيم -رحمه الله- أن هذا الطريق هو أقوى الطرق وأصحها وأسهلها؛ لإثبات الصانع والاستدلال على ربوبيته، فبعد أن نقل كلام الخطابي -رحمه الله- الذي يقرر فيه أن المعجزات والآيات الأفقية والنفسية أعظم الأدلة وأصحها على إثبات الربوبية والنبوات.

يقول-رحمه الله-: ( وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله تعالى آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع، وحياته وقدرته ومشيئته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات; وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا وكذلك اليد([[95]](#footnote-96)); وفلق البحر طرقا والماء قائم بينهما كالحيطان...وكذلك سائر آيات الأنبياء كإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي، فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب ويخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التي أرشد إليها عباده ودلهم بها، كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو وأحوال العلويات من السماء والشمس والقمر والنجوم، وأحوال النطفة وتقلبها طبقا بعد طبق، حتى صارت إنسانا سميعا حيا متكلما عالما قادرا يفعل الأفعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة)([[96]](#footnote-97))

وفي هذ الكلام القيم الطويل بعض الشيء لابن القيم -عليه الرحمة- يقرر أن المعجزات من أعظم الدلائل على ربوبية الله كما هو الحال في النبوات، وليس هذا مقتصراً فقط على هاتين المسألتين، بل جميع مسائل الدين تثبت بالمعجزات والآيات والحجج التي يؤيد الله عز وجل بها أنبيائه في صدقهم، فجميع ما يأتي به الرسل من اعتقادات من وحي الله عز وجل لهم، وأيضاً فيها من الرحمة بالناس ما فيها ليؤمنوا بما جاء به الرسل، ولأجل إقامة الحجة عليهم.

وهذا الذي قرره ابن القيم قد قرره شيخه ابن تيمية في عدة مواضع([[97]](#footnote-98)) لكن ابن القيم كعادته في عرضه للمسائل، والاستدلال عليها يأتي بأسلوب قوي جميل أخاذ بسيط.

وهذا أيضاً ما قرره البيهقي بقوله: ( وقد سلك بعض مشايخنا رحمنا الله وإياهم في إثبات الصانع، وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين )

إذن هذا المسلك من مسالك إثبات ربوبية الله عز وجل هام جداً وقد دل عليه الكتاب والسنة، ولذلك سميت في القرآن بالآيات لدلالتها على الحق سبحانه وتعالى وعلى صدق ما جاءت به الرسل([[98]](#footnote-99)).

فالذي يستدل به على النبوات من المعجزات والآيات، هو أيضاً في نفسه دليلٌ على ربوبية الله وأنه خالق عليم قادر، لدلالة الآية والمعجزة على الربوبية التي تستلزم الألوهية، وأيضاً الإيمان بصدق الرسول يكفي في الإيمان بمسائل الدين صغيرها وكبيرها.

**وفي الختام**: يتبين لنا من خلال ما تقدم كيف أن التفكر الذي دعا إليه الله عز وجل في القرآن طريق صحيح من طرق التوصل إلى ربوبية الله عز وجل، فلو نظر العبد إلى هذه الآيات الكونية نظر تأمل وتفكر وتعقل لكان له من أعظم الدلائل على وجود الله عز وجل وربوبيته سبحانه وتعالى وأنه المستحق للعبادة جل في علاه، ولكن الغفلة واتباع الهوى وتقليد الآباء والأجداد والإعراض عن الحق من أعظم المخذلات عن اتباع الحق **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** [الأعراف: 179] وكما قال تعالى: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ }** [الروم: 7، 8]

المحتويات

[المــقــدمـــة 2](#_Toc504980119)

[المطلب الأول: تعريف التفكُّر: 3](#_Toc504980120)

[التفكُّر في اللغة: 3](#_Toc504980121)

[التفكر في الشرع: 3](#_Toc504980122)

[توحيد الربوبية 5](#_Toc504980123)

[توحيد الربوبية في اللغة: 5](#_Toc504980124)

[توحيد الربوبية في الشرع: 5](#_Toc504980125)

[حكم توحيد الربوبية: 6](#_Toc504980126)

[أدلة التفكر على توحيد الربوبية: 8](#_Toc504980127)

[الأول: دلالة الفطرة على الربوبية وعلاقتها بالتفكر. 8](#_Toc504980128)

[الثاني: دلالة التفكر في المخلوقات على ربوبية الله عز وجل 13](#_Toc504980129)

[ثانياً: دلالة التفكر في النعم وما فيها من عناية وتسخير وتدبير على الربوبية: 21](#_Toc504980130)

[ثالثاً: الأدلة العقلية القرآنية الدالة على الربوبية. 25](#_Toc504980131)

1. **()** انظر معجم مقاييس اللغة (4/446) لابن فارس [↑](#footnote-ref-2)
2. **()** القاموس المحيط (482) للفيروز آبادي [↑](#footnote-ref-3)
3. **()** الصحاح (2/783 ) لأبي نصر الفارابي [↑](#footnote-ref-4)
4. **()** انظر لسان العرب (5/65) لابن منظور [↑](#footnote-ref-5)
5. () انظر: التحرير والتنوير (13/85) لمحمد الطاهر ابن عاشور وانظر: شذا العرف في فن الصرف (ص 33) لأحمد الحملاوي [↑](#footnote-ref-6)
6. **()** مدارج السالكين (1/166) [↑](#footnote-ref-7)
7. **()** انظر مثلاً: إرشاد الساري (7/71) للقسطلاني، والتيسير شرح الجامع الصغير (2/150) فيض القدير (2/263)

   و (4/327) كلاهما للمناوي، وأيضاً التنوير للصنعاني (5/81) [↑](#footnote-ref-8)
8. () كشاف اصطلاحات الفنون (2/1705) لمحمد بن علي التهانوي [↑](#footnote-ref-9)
9. **()** الرائد دروس في التربية والدعوة (1/241) لمازن الفريح  [↑](#footnote-ref-10)
10. () انظر: مقاييس اللغة (2/381) وانظر: لسان العرب (1/399) وانظر: تاج العروس (2/459) [↑](#footnote-ref-11)
11. () انظر: مذكرة التوحيد (ص:22) لعبدالرزاق عفيفي وانظر: إعانة المستفيد (1/20) لصالح الفوزان وانظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص:1) لصالح آل الشيخ . [↑](#footnote-ref-12)
12. () مجموع الفتاوى (11/50) [↑](#footnote-ref-13)
13. () تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص:17) [↑](#footnote-ref-14)
14. () انظر: القول السديد (ص:17) [↑](#footnote-ref-15)
15. () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص:23) [↑](#footnote-ref-16)
16. () انظر: مجموع الفتاوى (10/264) وانظر: مدارج السالكين (1/48) وانظر: شرح الطحاوية (1/42)لابن أبي العز.

    وانظر: التوحيد الخالص (1/48) [↑](#footnote-ref-17)
17. () أعني في غير الفترات التي لم يبعث فيها رسل، فهؤلاء لهم أحكام خاصة . [↑](#footnote-ref-18)
18. () جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والصوفية . [↑](#footnote-ref-19)
19. () درء تعارض العقل والنقل (9/378) [↑](#footnote-ref-20)
20. () تفسير ابن جرير (15/84) [↑](#footnote-ref-21)
21. () تفسير ابن جرير ( 16/286) تفسير ابن كثير (4/418) [↑](#footnote-ref-22)
22. () تفسير ابن جرير (20/60) [↑](#footnote-ref-23)
23. () عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص46). [↑](#footnote-ref-24)
24. () إيثار الحق على الخلق (ص45) [↑](#footnote-ref-25)
25. () الموحدون العرب قبل الإسلام هم من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده، ولم يدرك دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بل بقي على أصل فطرته، فلم يغير ولم يبدل، وهم البقايا ممن على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (2/158) للآلوسي [↑](#footnote-ref-26)
26. () انظر: زاد المسير (1/126) وانظر: مفاتيح الغيب (2/234) لفخر الدين الرازي وانظر: تفسير الخازن (1/233) وانظر: إيثار الحق على الخلق ( ص52) لابن الوزير . [↑](#footnote-ref-27)
27. () هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، ابن عم عمر بن الخطاب، ووالد سعيد بن زيد، كان يبحث عن الحنيفية ملة إبراهيم، وكان قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم، قال عنه النبي يبعث أمةً وحده، ذكره البغوي وابن منده في الصحابة وفيه نظر؛ لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين . انظر: الاستيعاب: (2/615-615) وانظر: البداية والنهاية (2/237) وانظر: تاريخ الإسلام (1/517) للذهبي وانظر: الإصابة (2/507-509) [↑](#footnote-ref-28)
28. () هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن خطباء الجاهلية المشهورين، ذكره بعضهم في الصحابة، والصحيح أنه مات قبل البعثة، وهو أول من آمن بالبعث من الجاهلية، وأول من قال أما بعد في قول، وأول من قال من فلان إلى فلان ابن فلان. انظر: خبره في البيان والتبيين (1/253) البداية والنهاية (2/230-236) الإصابة (5/412-413) لابن حجر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (2/196) [↑](#footnote-ref-29)
29. () هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة، أبو عثمان ويقال أبو الحكم الثقفي شاعر جاهلي، قدم دمشق قبل الإسلام كان في أسفاره كثير الاطلاع على الأسفار، كان من الموحدين، كان في شعره يذكر الآخرة ويعظم الله فيه

    لكن لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمن كان يطمع أن يكون هو النبي، وله أخبار كثير عجيبة مات كافراً في السنة التاسعة انظر: الشعر والشعراء (1/450) لابن قتيبة الدينوري، وانظر: البداية والنهاية (2/220-229) و بلوغ الأرب (2/203-207) [↑](#footnote-ref-30)
30. () دحاها: بسطها وأوسعها . انظر: لسان العرب (14/251) وانظر: القاموس المحيط (ص1282) [↑](#footnote-ref-31)
31. () سجالا: من السجل وهو الصب انسجل الماء انسجالاً انصب انصباباً انظر: لسان العرب (11/326) [↑](#footnote-ref-32)
32. () انظر: السيرة النبوية (1/213) لابن هشام وانظر: البداية والنهاية (2/242) وبلوغ الأرب (2/201) [↑](#footnote-ref-33)
33. () صحيح البخاري (3826) كتاب:" مناقب الأنصار" باب" حديث زيد بن عمرو بن نفيل" وانظر: البداية والنهاية (2/238) [↑](#footnote-ref-34)
34. () داج: يقال: دجا الليل أي: أظلم من الظلمة أو هدأ وسكن وقيل: هو سواد الليل مع غيم .انظر: لسان العرب ( 14/250) انظر: القاموس المحيط (ص1282) [↑](#footnote-ref-35)
35. () عجاج: أي يسمع لمائه عجيجاً أي صوتاً ونهر عجاج أي كثير الماء. تزهر: أي: انظر: لسان العرب (2/319) تاج العروس (6/92) [↑](#footnote-ref-36)
36. () وردت قصة قس بن ساعدة بروايات كثيرة مختلفة وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل وفد عبد القيس ((أيهم يعرف قساً بن ساعدة....الحديث))، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (12/88) والبزار في مسنده (11/470) وذكر طرقه البيهقي في دلائل النبوة (2/101-113) وابن كثير في تاريخه (2/230-237)، قال البيهقي وقد روي من وجه آخر، عن الحسن البصري، منقطعا، وروي مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وإذا روي حديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا، وقال ابن كثير: وأصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث، وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي، ثم نقل كلام البيهقي المتقدم وكأنه يوافقه، والحديث إن كان ضعيفاً لا يترتب عليه عمل ومعناه صحيح . [↑](#footnote-ref-37)
37. () أخرجه أبو يعلى في مسنده (13/170) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (9/417) وقال ابن كثير في البداية والنهاية إسناده جيد حسن ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم (2/241) (3/9) [↑](#footnote-ref-38)
38. () انظر: الشعر والشعراء (1/450) انظر: منهاج السنة النبوية (4/435) وانظر: هداية الحيارى عن أجوبة اليهود والنصارى (2/400) لابن القيم [↑](#footnote-ref-39)
39. () وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم . انظر: تفسير ابن جرير (13/255-275) انظر: زاد المسير (2/169) [↑](#footnote-ref-40)
40. () تفسير ابن كثير (3/507) [↑](#footnote-ref-41)
41. () هو الجد السابع من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم . [↑](#footnote-ref-42)
42. () انظر: بلوغ الأرب (2/226) [↑](#footnote-ref-43)
43. () مجموعة الرسائل الكبرى (2/340-342) رسالة الفطرة . [↑](#footnote-ref-44)
44. () انظر: إيثار الحق على الخلق (ص52) وانظر قريباً من هذا، البيهقي وموقفه من الغيبيات (ص117) لأحمد عطية الغامدي [↑](#footnote-ref-45)
45. () التعبير بالخلق والنشأة أحق وأولى من التعبير الفلسفي (الاختراع أو الحدوث) لأنه لفظ قرآني **{ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}** [يس: 79] أي خلقها من العدم؛ لأن الخلق الإيجاد من العدم وكذلك الإنشاء، أما الاختراع والحدوث فهما لفظان فلسفيان، ولا مانع من استعماله إن كان المعنى صحيح، والتعبير القرآني أحق وأولى، ولسنا بحاجة له في هذا الموضع إذ هو مقام تأصيل وليس مقام رد ومجاراة . انظر: الصحاح للفارابي (1/77) انظر: مناهج الأدلة (ص118) لابن رشد وانظر: تفسير ابن كثير (6/594) وانظر: دلائل التوحيد (ص207) للقاسمي [↑](#footnote-ref-46)
46. () انظر: مناهج الأدلة (ص: 118 وما بعدها) لابن رشد، تحقيق: محمد الجابري، مركز دراسات الوحد العربية، الطبعة الأولى، وانظر: درء تعرض العقل والنقل (8/312) وانظر الرد على المنطقيين (ص 253) وانظر: دلائل التوحيد (ص398) لجمال الدين القاسمي . [↑](#footnote-ref-47)
47. () الرد على المنطقيين (ص345) [↑](#footnote-ref-48)
48. () درء تعارض العقل والنقل (3/83) [↑](#footnote-ref-49)
49. () مستفاد من كتاب إيثار الحق على الخلق (ص45) لابن الوزير . [↑](#footnote-ref-50)
50. () المفردات في غريب القرآن (ص79) لأبي القاسم الأصبهاني وانظر لسان العرب (6/171) وانظر: القاموس المحيط (864) [↑](#footnote-ref-51)
51. () انظر: تفسير السمعاني (5/61) وانظر: فتح القدير (4/599) [↑](#footnote-ref-52)
52. () تفسير السعدي (ص161) [↑](#footnote-ref-53)
53. () فتح القدير (1/470) [↑](#footnote-ref-54)
54. () انظر: المصدر السابق (2/309) [↑](#footnote-ref-55)
55. () تفسير ابن عطية (2/483) [↑](#footnote-ref-56)
56. () انظر: تفسير الطبري (20/40) وانظر: التحرير والتنوير (2/256،257) [↑](#footnote-ref-57)
57. () تفسير السعدي (ص:412) [↑](#footnote-ref-58)
58. () انظر: تفسير القرطبي (9/281) وانظر: تفسير ابن كثير (4/432) انظر: فتح القدير (4/398) وانظر: التحرير والتنوير (22/300،301) وانظر: درء تعارض العقل والنقل (1/382)(10/188) [↑](#footnote-ref-59)
59. () تفسير السعدي (570-571) [↑](#footnote-ref-60)
60. () تهذيب الأسماء واللغات (4/170) [↑](#footnote-ref-61)
61. () انظر: الصحاح (3/984،985) للفارابي . وانظر: لسان العرب (6/233-236) [↑](#footnote-ref-62)
62. () مجموع الفتاوى (16/262) [↑](#footnote-ref-63)
63. () تفسير ابن جرير (22/420) [↑](#footnote-ref-64)
64. () تفسير السمعاني (5/255) [↑](#footnote-ref-65)
65. () فتح البيان (13/198) [↑](#footnote-ref-66)
66. () التحرير والتنوير (26/353) [↑](#footnote-ref-67)
67. () فتح القدير (4/574) [↑](#footnote-ref-68)
68. () انظر: تفسير ابن جرير (21/412) وانظر: الاعتقاد للبيهقي (ص49-50) وانظر: تفسير القرطبي (2/202) [↑](#footnote-ref-69)
69. () انظر بيان تلبيس الجهمية (1/502) وما بعدها . والكلام الذي ذكره الخطابي كلام طويل ولكنه نفيس، فقد بين كيف يستدل على الربوبية بخلق الإنسان، وهذا بعض الذي ذكره بعد تصرف شديد . [↑](#footnote-ref-70)
70. () أضواء البيان (6/173) [↑](#footnote-ref-71)
71. () تفسير ابن كثير (6/73) وانظر: طريق الهجرتين (ص 122) لابن القيم . [↑](#footnote-ref-72)
72. () ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان (ص81) لابن الوزير . [↑](#footnote-ref-73)
73. () النبوات (1/293) [↑](#footnote-ref-74)
74. () تفسير ابن عاشور ( 8/204-205) [↑](#footnote-ref-75)
75. () انظر: التحرير والتنوير (21/173-174) وانظر: تفسير السعدي (ص:649) [↑](#footnote-ref-76)
76. () انظر: فتح القدير (4/277) [↑](#footnote-ref-77)
77. () انظر: تفسير ابن جرير (22/65) وانظر: التحرير والتنوير (25/337) تفسير السعدي (ص:649) [↑](#footnote-ref-78)
78. () مجموع الفتاوى (8/210) [↑](#footnote-ref-79)
79. ()انظر: درء تعارض العقل والنقل ( 9/322) وانظر: الكشف عن مناهج الأدلة (ص: 80) [↑](#footnote-ref-80)
80. () انظر: التحرير والتنوير (14/123) [↑](#footnote-ref-81)
81. () انظر: فتح القدير (3/185) [↑](#footnote-ref-82)
82. () مفتاح دار السعادة (1/206) [↑](#footnote-ref-83)
83. () انظر: تفسير ابن جرير (20/40) [↑](#footnote-ref-84)
84. () الصواعق المرسلة (2/793) [↑](#footnote-ref-85)
85. () انظر: تفسير السعدي (558) وانظر: الأدلة العقلية (ص38) لسعود العريفي [↑](#footnote-ref-86)
86. () انظر: شرح الأصبهانية (ص 466) [↑](#footnote-ref-87)
87. () انظر: تفسير ابن كثير (5/491) [↑](#footnote-ref-88)
88. () انظر: مجموع الفتاوى (5/359) وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص83) وانظر: شرح الطحاوية (1/39) لابن أبي العز وانظر: مذكرة التوحيد (ص:23) لعبدالرزاق عفيفي وانظر: دعوة التوحيد (ص:33 ) لمحمد هراس . [↑](#footnote-ref-89)
89. () درء تعارض العقل والنقل (3/113) [↑](#footnote-ref-90)
90. () أخرجه البخاري (4854) كتاب: " تفسير القرآن " باب: "وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب" واللفظ له . وأخرجه مسلم (463) كتاب: "الصلاة " باب: " القراءة في صلاة الصبح " من غير ذكر قصة جبير بن مطعم . [↑](#footnote-ref-91)
91. () فتح الباري (8/603) [↑](#footnote-ref-92)
92. () انظر: إيثار الحق على الخلق (ص:53) [↑](#footnote-ref-93)
93. () انظر: البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوده وكماله (ص:19) لعبدالرحمن السعدي [↑](#footnote-ref-94)
94. () انظر: التحرير والتنوير (21/80) [↑](#footnote-ref-95)
95. () يعني أن هذه المعجزة الخارقة للعادة التي في العصا واليد دليل على أهم مسائل الدين من الألوهية والربوبية والمعاد والنبوات، لأنها من أعظم البراهين على ذلك، وهذه المسائل الكبار يدخل فيها المسائل الصغار إن حصل الإيمان بسبب المعجزة، فأصبح كأن الدين كله معلوم بسبب تلك المعجزات . [↑](#footnote-ref-96)
96. () الصواعق المرسلة (3/1197-1198) [↑](#footnote-ref-97)
97. () انظر على سبيل المثال درء تعارض العقل والنقل (9/40-44) [↑](#footnote-ref-98)
98. () الاعتقاد (ص: 52) للبيهقي . [↑](#footnote-ref-99)